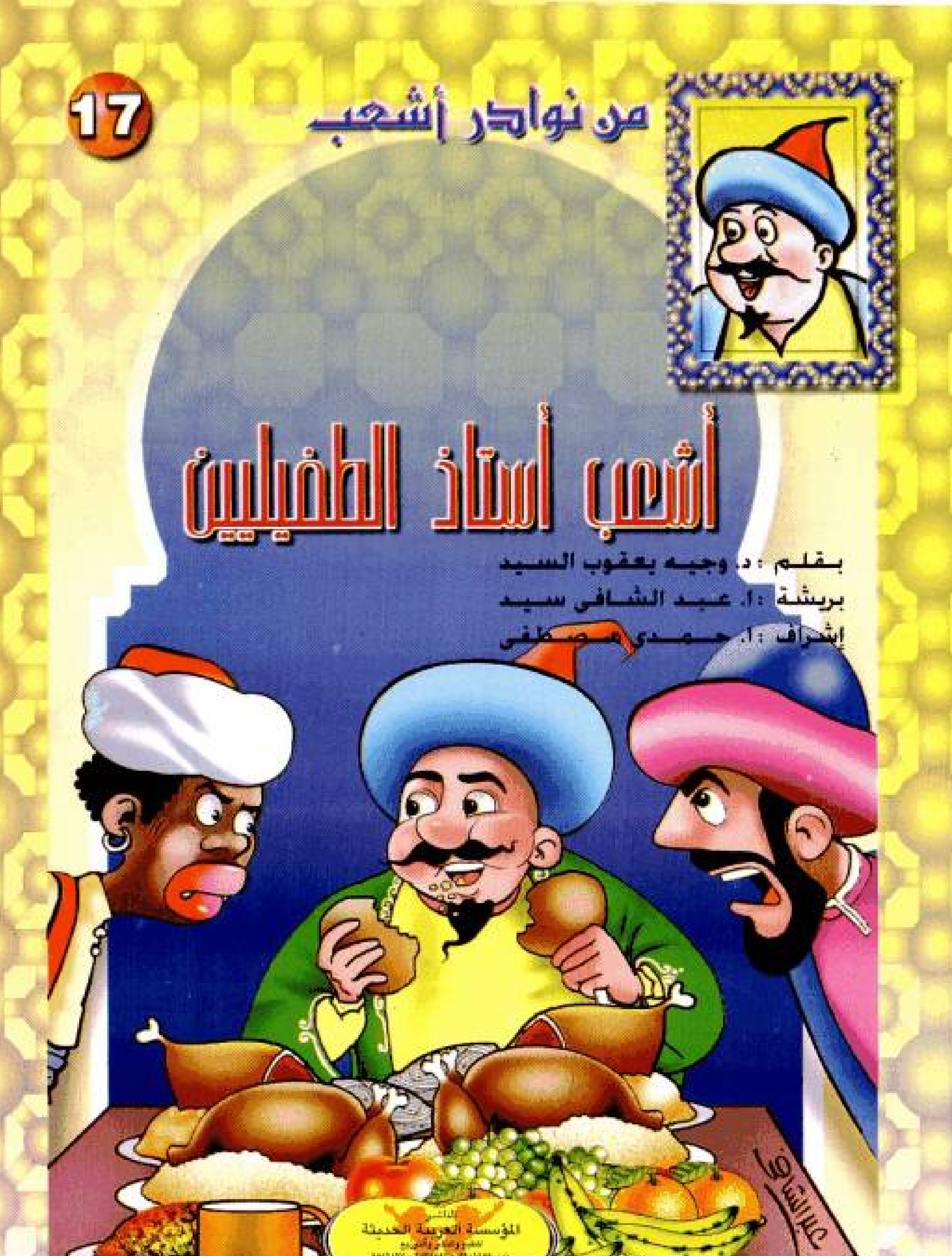

من نوادر أشعب
17
أشعب أستاذ الطفيليين
بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
بريشة : أ. عبد الشافي سيد
إشراف : أ. حمدي مصطفى
المؤسسة العربية الحديثة

من نوادر أشعب



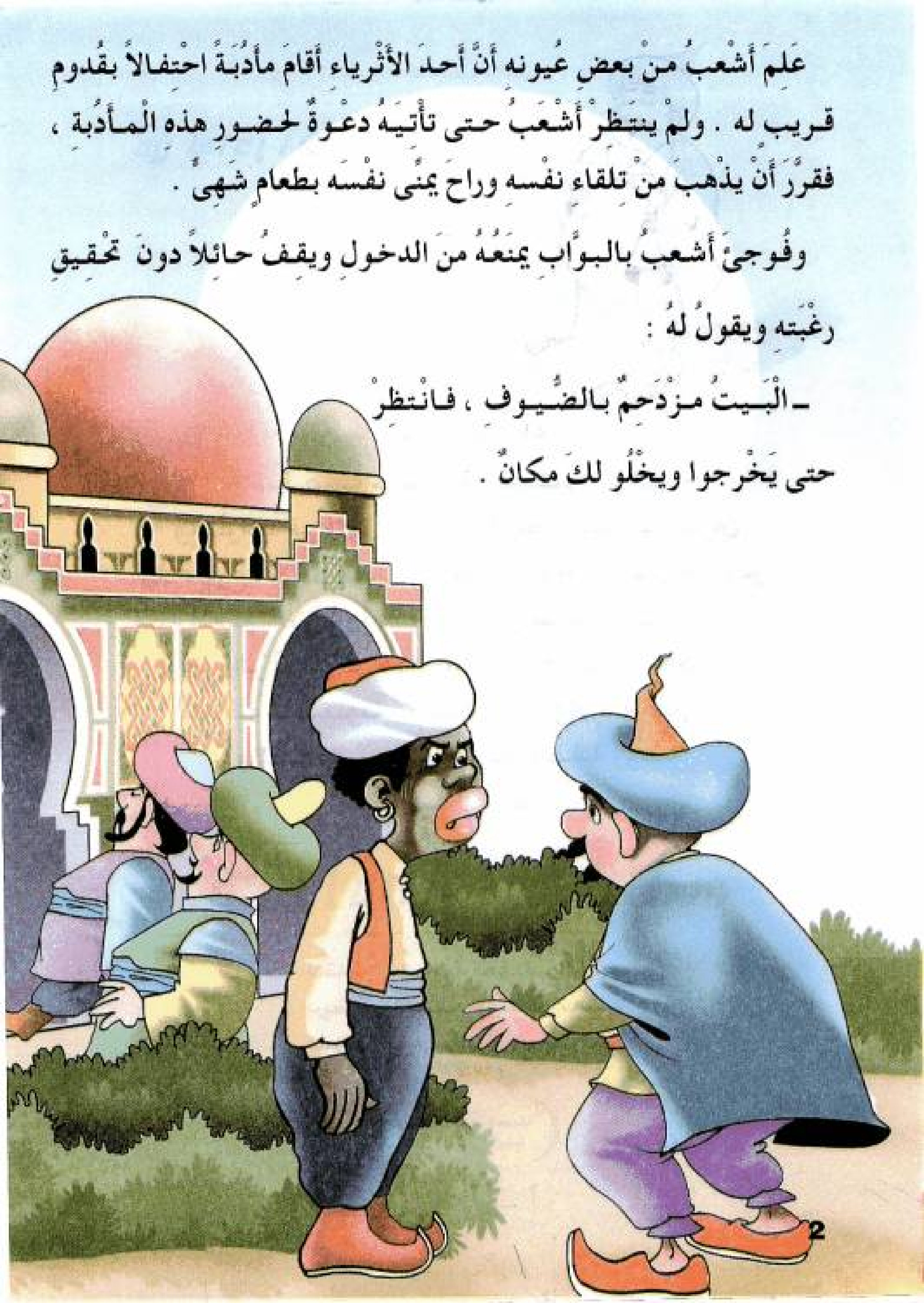
أشْعَبُ الطَّماع

شخْصِيَّةٌ حقيقيَّةٌ ، اشْتهرَت بالنَّهَم والشَّراهَةِ فى الأكْلِ ، يعْتَبرُهُ الْبعْضُ أميرَ الطُّفَيْليِّينَ بلا مُنَازِع ، حيْثُ يتسلَّلُ إلى كلِّ مائدَةٍ أو احْتفالٍ أو عُرْسٍ فيه طعامٌ ، دونَ أن يدْعُوَه أحدٌ أو ينْتظرَ دَعْوَةً من أحدٍ . وعلى الرَّغْمِ من كُلِّ هذا ، فقدْ كان أشْعَبُ شخصيَّةً مَرِحَةً محْبوبَةً ، تتَّسِمُ كلُّ مواقِفه بالفُكاهَةِ والضَّحِكِ ، بسببِ ظرفه وخفَّة روحه ومواقِفهِ الطَّريفَةِ !

أشعب أستاذ الطفيليين !

بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
بريشة : أ. عبد الشافى سيد
إشراف : أ. حمدى مصطفى





عَلِمَ أَشْعَبُ مِنْ بعضِ عُيونِه أَنَّ أَحدَ الأَثْرياءِ أَقامَ مأْدُبَةً احتِفالاً بِقُدومِ قريبٍ له . ولمْ ينتظِرْ أَشْعَبُ حتى تأْتِيَهُ دعْوةٌ لحضورِ هذه المأْدُبَةِ ، فقرَّرَ أَنْ يذْهبَ مِن تِلقاءِ نفْسِه وراحَ يمَنِّي نفْسَه بطعامٍ شَهِيٍّ .

وفُوجِئَ أَشعبُ بالبوَّابِ يمْنَعُهُ من الدخولِ ويقِفُ حائِلاً دونَ تحْقيقِ رغْبَتِه ويقولُ لهُ :

ـ البَيتُ مزْدَحِمٌ بالضُّيوفِ ، فانْتظِرْ حتى يَخْرجوا ويخْلُو لكَ مكانٌ .

وأدْركَ أَشْعبُ أن هذه حيلَةٌ جديدَةٌ لجأ إليها هذا البَوّابُ لكى يمْنع الطُّفَيْليِّينَ من حضورِ هذه الْمأْدُبَةِ ، فصمّمَ على الدُّخولِ مهما كلَّفهُ الأمْرُ .

ففكَّرَ أشعبُ قليلاً ، وانْصرفَ مُؤقَّتًا عائدًا إلى بيْته ، فغيَّرَ ملابسَهُ وعدَّلَ من هيْئَته ، ثم أسْرعَ مَرّةً أُخرى إلى مكانِ المأْدُبَة .

اقْتربَ أَشْعبُ من الْبوّابِ ، وأَلْقى عليه التحيَّةَ ، وتظاهرَ بأنهُ ينظِّفُ أَسْنانَه من آثارِ الطَّعامِ وقالَ في أدبٍ عظيمٍ :

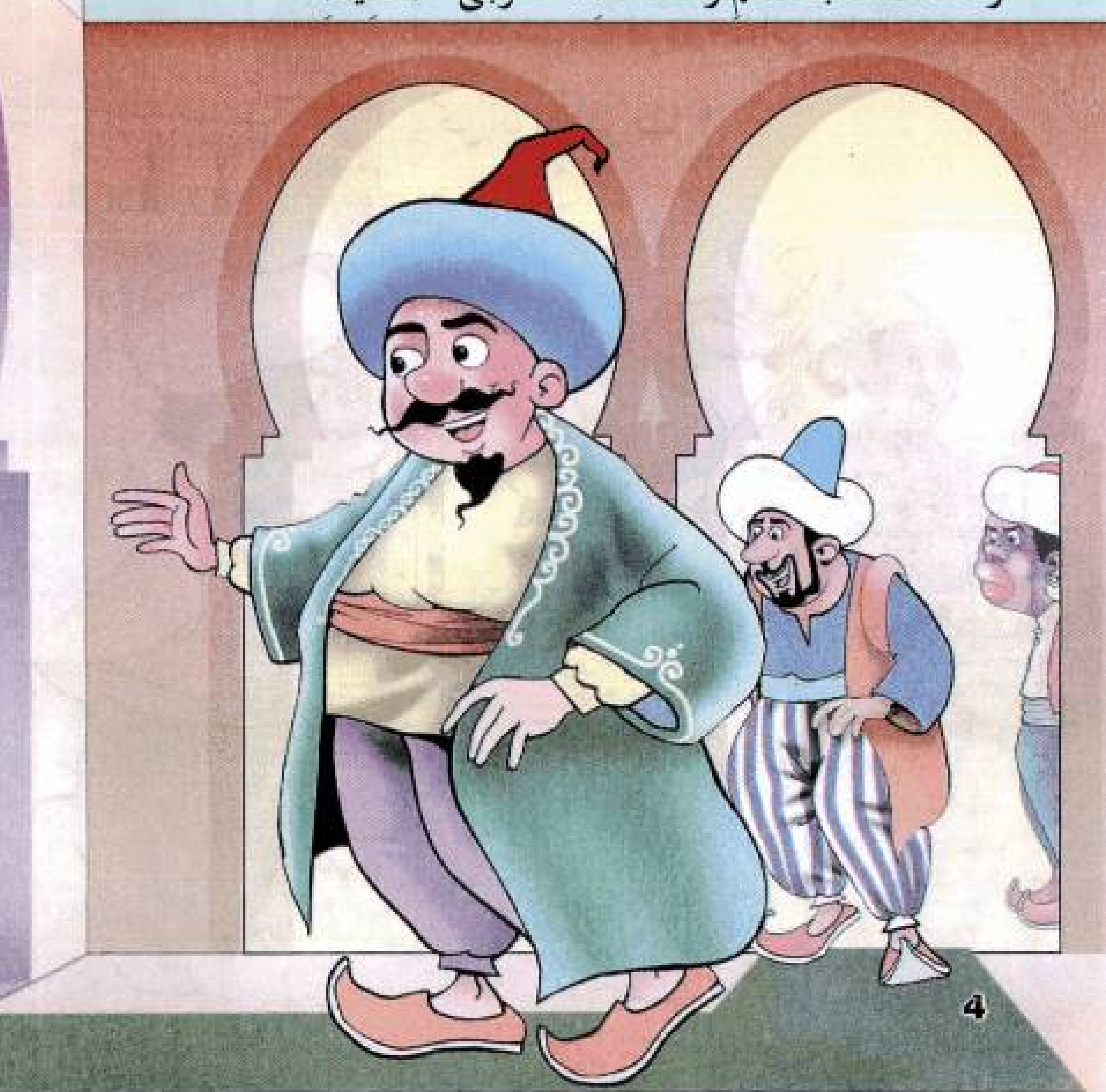
ـ معْذرةً فقدْ أكَلْتُ مع الْفوجِ السابقِ ، وبسببِ الْعَجَلة نسِيتُ فرْدَةَ حذائى بالدّاخلِ ، فهلْ يمكنُ أنْ تأْتينى بها ؟

كانَ البوّابُ مشغولاً للغايَة ، فقدْ كانت أعْدادُ المدعُوين كبيرةً ، وهو مأمورٌ من صاحب الْبَيْت بمراقَبة الْحضُورِ والْمحافَظَة على النِّظامِ ، لذلك فقدْ قال لأشْعَبَ دون أنْ ينظُر إلَيْه :

- إني مشغولٌ الآنَ ، فتفضَّلْ بالدُّخولِ لكيْ تبحثَ عنها بنَفْسِك .

لم يصَدِّقْ أشعبُ أُذُنَيه ، فأسرعَ إلى الدّاخلِ وألْقى بجسده مع الدّاخلين وقال وهو يناجي نَفْسَهُ :

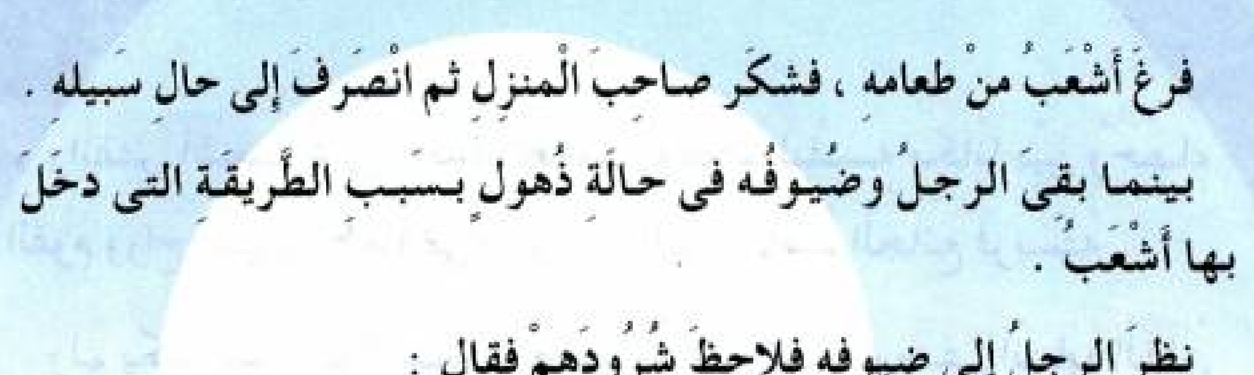
- لوْلاكِ يا فردَةَ حذائي ، لما دخَلْتُ منزِلَ هؤلاءِ الْبُخلاءِ ، وما تلَذّذْتُ باللّحمِ والْحساءِ ، فطُوبى للأذْكياء .



وانْقضَّ أَشْعبُ على مائدَةِ الطَّعامِ ، واتخذَ لنفْسهِ مكانًا بيْنَ وُجَهاءِ الْقَوْمِ وراحَ يلْتهمُ الطَّعامَ فى نَهَمٍ كما يلْتَهِمُ الأسَدُ الْجائِعُ فَرِيسَتَهُ .

ولمْ يكَدْ صاحبُ الْبيتِ تقعُ عيناهُ على أشْعبَ حتى انْتابَهُ الْقَلَقُ وخافَ أَنْ يتَسبَّبَ وُجودُهُ فى مُشْكلَةٍ مع ضُيوفِهِ بسببِ الطريقَةِ التى يأْكُلُ بها ، لكنَّهُ كظَمَ غيْظَهُ فى نفْسهِ خوفًا من لسانِ أشْعبَ أَوْ أفْعالهِ غيرِ المتوقَّعةِ .





فرغَ أَشْعَبُ من طعامه ، فشكَر صاحِبَ الْمنزِلِ ثم انْصَرفَ إلى حالِ سبيله .

بينما بقِيَ الرجلُ وضيوفُه في حالَةِ ذُهولٍ بِسَببِ الطَّريقَةِ التي دخَلَ بها أَشْعَبُ .

نظرَ الرجلُ إلى ضيوفِه فلاحظَ شُرُودَهمْ فقال :

ـ ما بالكُمْ بِمَنْ يُوقِفُ أَشْعَبَ وإخْوانَه الطُّفَيْلِيِّينَ عنْدَ حدِّهمْ ، فلا يحْضُرونَ الْموائدَ إلاَّ بإذْنٍ منْ أصْحابِها ؟

فأجابوا :

ـ يبدو أنك تحْلُمُ ، فقدْ جرَّبْنا كلَّ الْحِيَلِ والْوسائِلِ الْمُمْكِنة ، لكنَّها باءَتْ كلُّها بالْفَشَلِ ، ولمْ نَجْنِ منْ ورائِها سوى الْحَسْرةِ والنَّدَمِ !



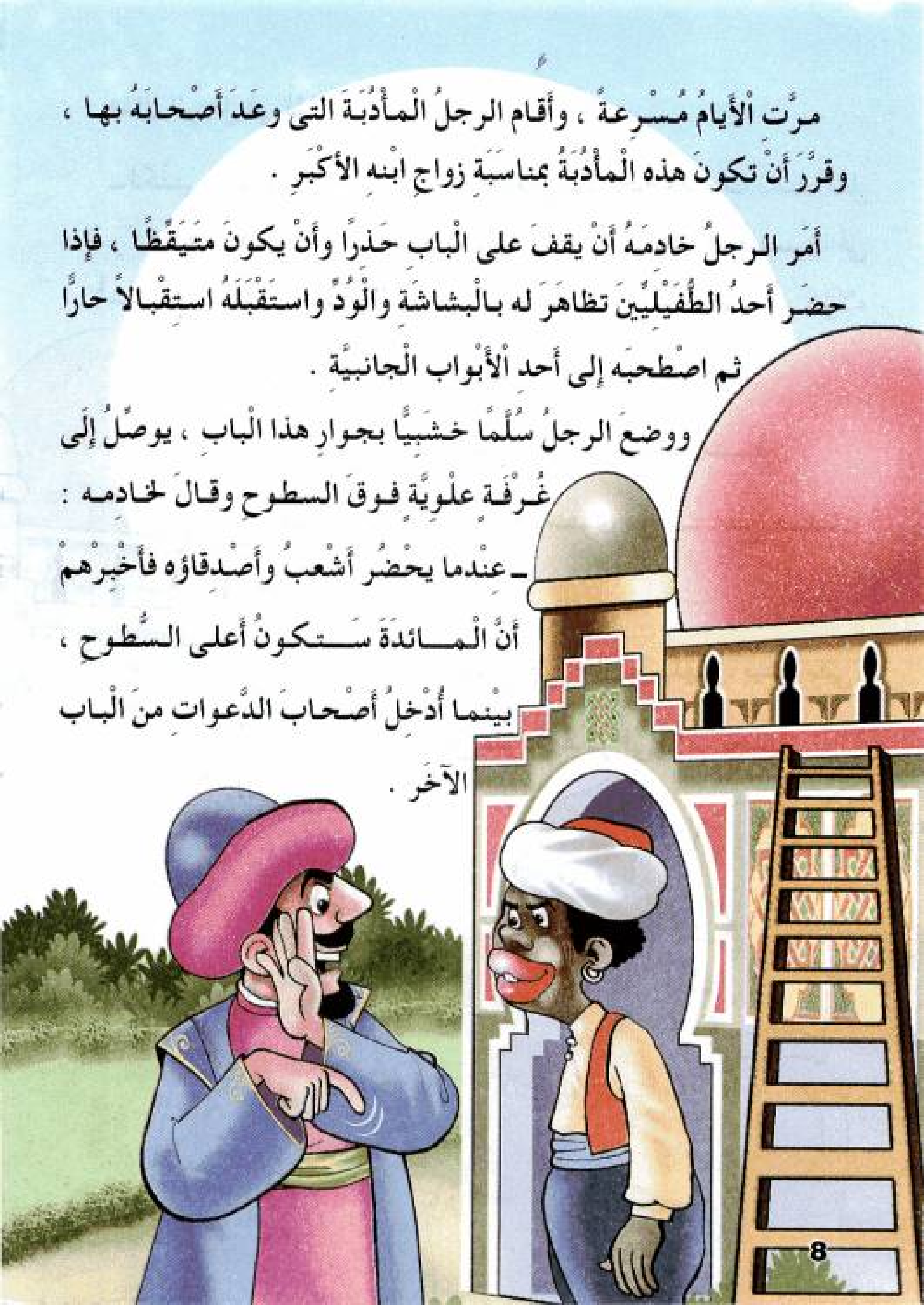
فقالَ الرجلُ فى ثِقَةٍ :

ـ لكنَّنى على يقينٍ هذه الْمَرَّةَ أَنَّ حِيلَتِى ستَنْجَحُ وسَوْفَ نستأْصِلُ شَوْكَةَ الطُّفَيْلِيِّينَ ، ولكى تتأكَّدُوا منْ ذلكَ بأَنْفُسِكُمْ فاحْضَرُوا فى الْأُسبوعِ الْقادِمِ الْمَأْدُبَةَ التى سأُقِيمُها لِتَرَوْا كيفَ سأُلَقِّنُ هؤلاءِ الطُّفيليِّينَ درْسًا لا يَنْسَوْنَه !

ابْتَسَمَ الْجميعُ وقالوا وهمْ غيرُ مُصَدِّقِين :

ـ الْأيامُ بَيْنَنا ، وسَنَرى هلْ ستُفْلِحُ حِيلَتُكَ أَوْ لاَ ؟

ثم انصرَفوا إلى حالِ سبيلِهِمْ ، بَيْنَما بَقِىَ الرجلُ بمُفْردِهِ يفكِّرُ فى الْأَمْرِ بجدِّيَّةٍ .

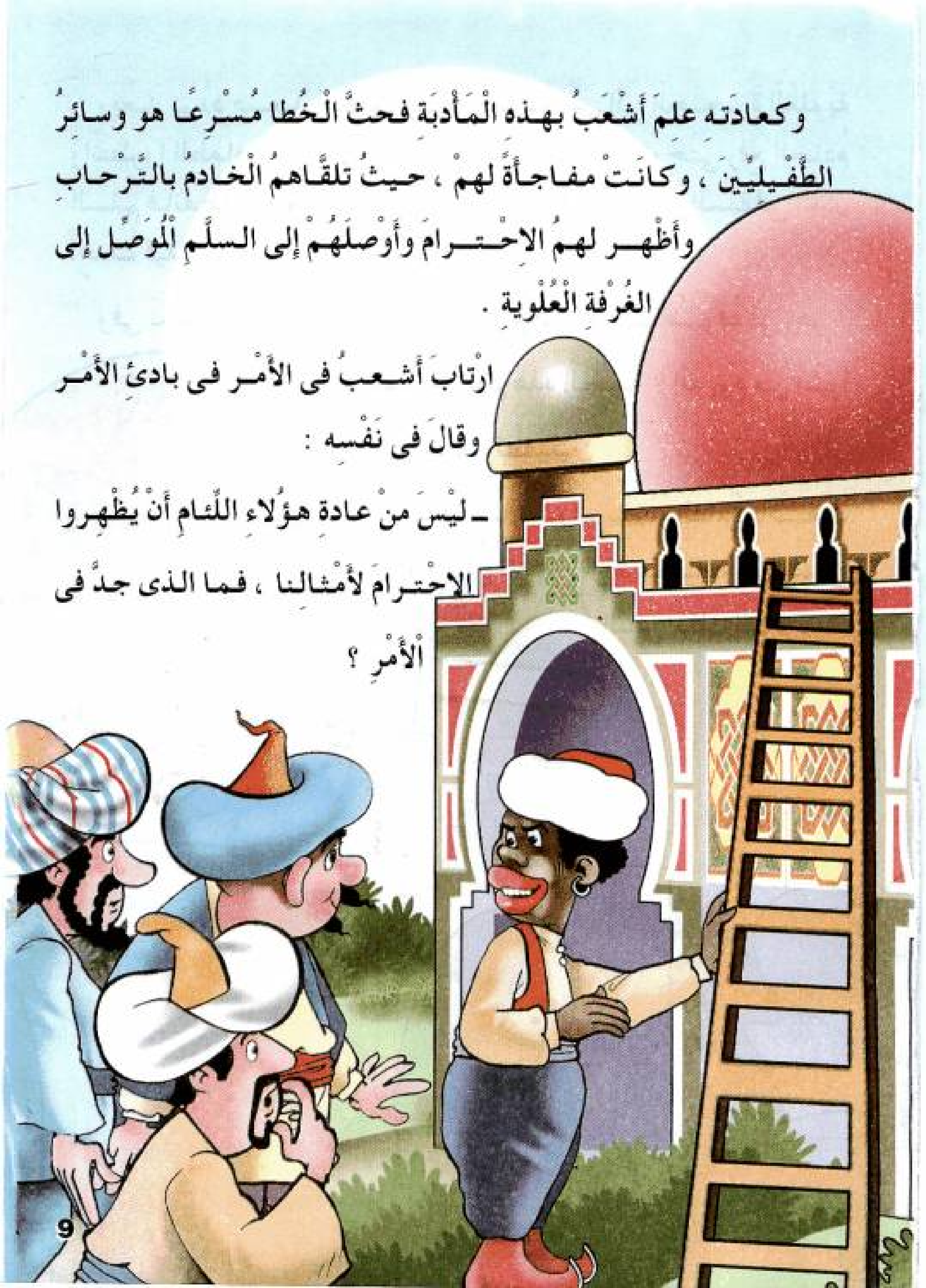


مرَّت الأيامُ مُسْرِعةً ، وأقام الرجلُ المأْدُبَة التي وعَدَ أصْحابَهُ بها ، وقرَّرَ أنْ تكونَ هذه المأْدُبَةُ بمناسَبَةِ زواجِ ابْنِه الأكْبَرِ .

أمَرَ الرجلُ خادِمَهُ أنْ يقفَ على البابِ حَذِرًا وأنْ يكونَ متيَقِّظًا ، فإذا حضَرَ أحدُ الطُّفَيْلِيِّينَ تظاهَرَ له بالبشاشَةِ والْوُدِّ واستَقْبَلَهُ استقبالاً حارًّا ثم اصْطحبَه إلى أحدِ الأبْوابِ الجانبيَّةِ .

ووضَعَ الرجلُ سُلَّمًا خشَبِيًّا بجوارِ هذا البابِ ، يوصِّلُ إلى غُرْفَةٍ علْوِيَّةٍ فوقَ السطوحِ وقالَ لخادِمِه :

ـ عِنْدما يحْضُرُ أشْعبُ وأصْدِقاؤه فأخْبِرْهم أنَّ المائدَةَ ستكونُ أعلى السُّطوحِ ، بينما أُدْخِلُ أصْحابَ الدَّعواتِ من البابِ الآخَرِ .



وكعادَته علِمَ أَشْعَبُ بهذه الْمَأْدبَةِ فحثَّ الْخُطا مُسْرِعًا هو وسائِرُ الطُّفيليّينَ ، وكانَتْ مفاجأَةً لهمْ ، حيثُ تلقّاهمُ الْخادمُ بالتّرْحابِ وأَظْهر لهمُ الاحْترامَ وأَوْصلَهُمْ إلى السلَّمِ الْمُوصِّل إلى الغُرْفةِ الْعُلْويةِ .

ارْتابَ أَشعبُ في الأَمْر في بادئِ الأَمْر وقالَ في نَفْسه :

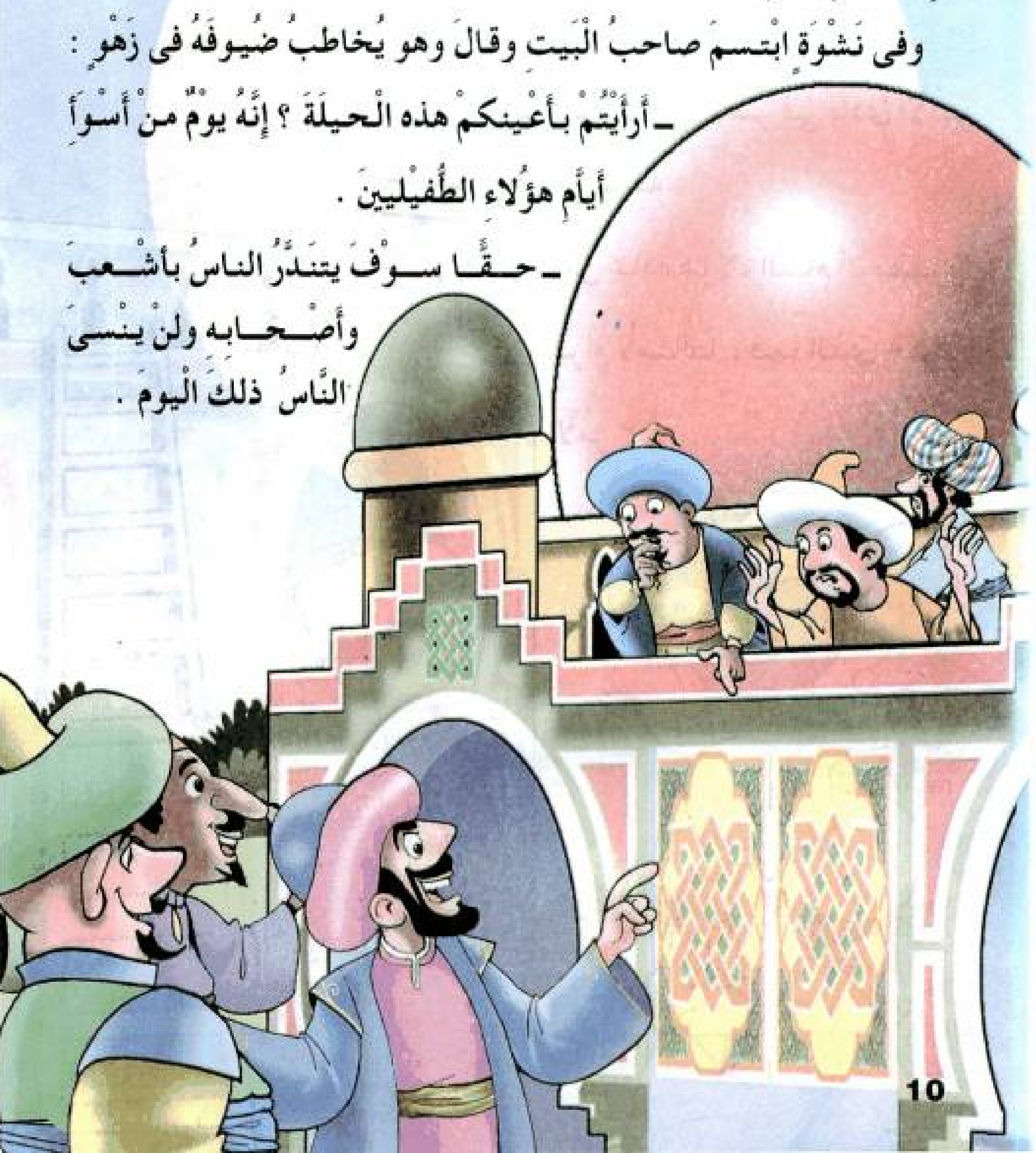
ـ ليْسَ من عادةِ هؤُلاءِ اللّئامِ أنْ يُظْهِروا الاحْترامَ لأَمْثالنا ، فما الذى جدَّ في الأَمْرِ ؟

وبعْـد تـرَدُّد صـعـد أشْـعَبُ وباقى الطُّفَـيْلـيِّين إلى الْـحـجـرة الْعُلويَّة وانْتَظَروا الطَّعامَ فى شوق ولهْفة ، وما هى إلا لحظاتٌ حتَّى رفعَ الْخادمُ السُّلَّمَ فـانْقَطعَ طريقُ الْتوْصـيـلِ بيْنَ الطُّفَـيْليين والدَّوْرِ السُّفْلىِّ الذى أُعِدَّتْ فيه الْمائدةُ .

وفى نَشْوَةٍ ابْتسمَ صاحبُ الْبَيتِ وقالَ وهو يُخاطبُ ضُيوفَهُ فى زَهْوٍ :

ـ أرأيْتمْ بأَعْينكمْ هذه الْحيلَةَ ؟ إنَّهُ يومٌ منْ أسْوأِ أيَّامِ هؤُلاءِ الطُّفَيْليينَ .

ـ حـقًّـا سـوْفَ يتنَدَّرُ الناسُ بأشْـعبَ وأصْـحـابه ولنْ ينْسَى النَّاسُ ذلكَ الْيومَ .



وراحَ الضُّيوفُ يلتَهِمونَ الطَّعامَ ، بينما علَتْ ضَحكَاتُهمْ وتعليقَاتُهمُ السَّاخِرةُ .

وفى أعْلى السُّطوحِ نظرَ الطفَيْليونَ بعْضُهمْ إلى بعْضٍ فى حَسْرَةٍ ، وسالَتْ من عيُونِهم الدُّموعُ وقالَ أحَدُهُمْ فى حسْرةٍ :

ـ لقد امْتَنَعْتُ عنْ تناوُلِ الطَّعامِ يوْمًا كاملاً ، ومَنَّيْتُ نفسى بوَجْبةٍ دَسمَةٍ أرُدُّ بها هذا الْجوعَ .

وقالَ آخرُ :

ـ والأدْهَى من ذلكَ أنَّ الأعْداءَ والْحُسَّادَ سيَشْمتُونَ بنا !



كانَ أَشعبُ يستمعُ إلى ما يدُورُ من أحاديثَ فلا يُبْدى أىَّ جزعٍ أوْ أسفٍ ، بلْ على العكسِ تظاهرَ بالثِّقةِ وقال :

ـ لا تَجْزَعوا ، فلِكُلِّ مُشْكلَةٍ مخْرجٌ .

ـ وكَيْفَ ؟

ـ الْمَخْرجُ بيَدى بعَوْنِ اللَّهِ .

ـ يَبْدُو أنَّكَ تمزَحُ ، ألَمْ ترَ بعَيْنَيْكَ ما حَدثَ ، وقدْ أصبحنا معزُولينَ فى هذه الغُرْفَةِ التى يستحيلُ القفزُ منها ؟



فقالَ أشعبُ :

ـ إذا اسْتَطَعْتُ أنْ أجِدَ لكمْ مَخْرَجًا مِنْ هذا الْمأزِقِ هلْ تعْتَرِفُونَ بأُسْتاذِيَّتى لكمْ فى التَّطَفُّلِ ؟

فأجابوا فى نَفَسٍ واحدٍ :

ـ نحنُ مُعْتَرِفونَ بفَضْلِكَ مُسبَقًا حتى وإنْ لمْ تصنَعْ شيئًا .

وفى ثقةٍ قالَ أشْعبُ :

ـ إذنْ فانْظروا كيفَ أَصْنَعُ كى تتعلَّموا .





قامَ أَشْعبُ منْ مكانِه ومشَى حتى اقْتَربَ منَ الْفَتْحةِ التى صَعِدُوا منْها ونظرَ إلى صاحبِ الْمنزلِ قائلاً :

ـ أمامَكَ خِيارٌ منْ خِيارَيْنِ ، إمَّا أنْ تبْعَثَ إلينا بمائدَةٍ عامرَةٍ عليْها ما لَذَّ وطابَ فنأْكُلَ حتى نشْبعَ ، وإلا فسوْفَ أُلْقى بنَفْسي منْ هذا الْعُلوِّ الشاهِقِ فأموت ، ويتَحولُ العُرْسُ إلى مأْتمٍ !

وتظاهرَ أَشْعبُ بأنَّهُ يحاولُ إلْقاءَ نفْسِه على الْأرضِ ، فقامَ صاحبُ الْبيتِ مذْعوراً وجرى نحوه وقال في تودُّدٍ :

ـ باللهِ عليكَ ، لا تفعَلْ يا أَشْعَبُ ، فكلُّ مطالبكَ مُجابَةٌ ، وسوْفَ يصْعَدُ إليكَ الْخادمُ بمائدةٍ فيها كلُّ ما تشْتَهي .

وبالْفعلِ صعدَ الْخادمُ وهو يَحْملُ مائدَةَ الطَّعامِ ووضَعها أمامَ الطُّفَيْليِّنَ الذين راحُوا يلْتهِمونَها الْتِهاماً وهمْ يدْعونَ لأَشْعَبَ ويُثْنُونَ عليْهِ .



بينَما كانَ صاحِبُ الْبيت مطْرِقَ الرأْسِ خجْلاَنَ بِسَببِ فشَلِ خطَّته ، وقالَ فى حُزْنٍ :

ـ واللَّه لوْ وضَعْنا أمامَ هؤُلاءِ الطُّفيْليينَ جَبَلاً شاهِقًا لاجْتازُوهُ لكىْ يصِلُوا إلى أغْراضِهمْ وأهْدافِهمْ .

بينما انْصرفَ سائرُ الْمَدْعوين بعْدَ أنِ انْتَهى الْعُرْسُ وهمْ يضْحكُونَ منْ قُلُوبهمْ ويُتَمْتمونَ قائلينَ :

ـ إنَّهُ أَشْعَبُ الْعجيبُ ، صاحبُ الْألاعيبِ ، الذى لا يَعْجزُ عنْ تدْبيرِ الْحِيَلِ التى توَصِّلهُ إلى أعزِّ حَبيبٍ (الطَّعامُ) .

(تمَّت)

رقم الإيداع : ١٥٩٤٩ / ٢٠٠١
الترقيم الدولي : ٨ - ٦٨٩ - ٢٦٦ - ٩٧٧

